فاعلية المعلم ودوره في عصر الذكاء الاصطناعي

بقلم

د. مصطفى سوادي جاسم

باحث في مركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

مقدمة

لم يعد السؤال في التعليم المعاصر: **كيف يحصل المتعلم على المعرفة؟**، فقد أصبحت المعرفة متاحة أمامه بصورة لم تعرفها الأجيال السابقة، بضغطة واحدة يستطيع المتعلم الوصول إلى الكتب، والدراسات، والمحاضرات، والموسوعات، والمواقع التعليمية، وأدوات الذكاء الاصطناعي القادرة على الإجابة، والتفسير، والتلخيص، وإنتاج النصوص والصور والأفكار.

لقد أحدث هذا الانفتاح تحولاً جوهرياً في طبيعة العملية التعليمية؛ فالمشكلة لم تعد في ندرة المعرفة، وإنما في كيفية التعامل معها، واختيارها، والتحقق من صحتها، وتنظيمها، وفهمها، وربطها بالخبرة، ثم إنتاج معرفة جديدة انطلاقاً منها.

ومن هنا يتغير السؤال عن فاعلية المعلم؛ فلم يعد المعلم الفاعل هو الذي يمتلك أكبر قدر من المعلومات ويستطيع شرحها للطلاب، لأن الوصول إلى المعلومات لم يعد امتيازاً حصرياً له، وإنما أصبح المعلم الفاعل هو الذي يستطيع أن يجعل المتعلم يفكر في المعرفة، ويتساءل حولها، ويمارس نقدها، ويعيد بناءها، ويوظفها في مواقف جديدة.

وهذا التحول لا يعني تراجع مكانة المعلم، بل على العكس؛ إنه ينقل مهنته من وظيفة نقل المعرفة إلى وظيفة أكثر تعقيدًا تتمثل في تصميم التعلم وبناء التفكير وتوجيه المتعلم.

وتشير اليونسكو إلى أن الذكاء الاصطناعي يعيد تشكيل العلاقة التقليدية بين المعلم والمتعلم إلى علاقة ثلاثية: المعلم–الذكاء الاصطناعي–المتعلم، الأمر الذي يتطلب إعادة النظر في أدوار المعلم وكفاياته.

أولاً: من عصر ندرة المعرفة إلى عصر وفرة المعرفة

كان المعلم في النموذج التقليدي يمثل أحد أهم مصادر المعرفة بالنسبة إلى المتعلم، وكان الكتاب المدرسي يمثل المصدر الرئيس للمعلومات، وكانت الحصة الدراسية هي المجال الأساسي للحصول عليها، أما اليوم، فقد تغيرت المعادلة بصورة جذرية.

أصبح المتعلم يعيش في بيئة معرفية مفتوحة؛ يستطيع فيها أن يصل إلى أكثر من إجابة للسؤال الواحد، وأن يقارن بين مصادر متعددة، وأن يطلب تفسير المفهوم بمستويات مختلفة، وأن يستخدم الذكاء الاصطناعي لتوليد أمثلة وأسئلة وتفسيرات جديدة.

وهنا تظهر مفارقة تربوية مهمة: كلما أصبحت المعرفة أكثر وفرة، أصبحت الحاجة إلى المعلم أكثر أهمية، ولكن بوظيفة مختلفة، فالوفرة المعرفية لا تعني بالضرورة امتلاك المعرفة، وقد يؤدي تدفق المعلومات، إذا لم يصاحبه وعي نقدي، إلى التشويش، أو المعلومات المضللة، أو المعرفة السطحية، أو الاعتماد الكامل على الإجابات الجاهزة.

لذلك فإن مهمة المدرسة لم تعد أن تعطي الطالب أكبر قدر ممكن من المعلومات، بل أن تمنحه الأدوات العقلية التي تمكنه من التعامل مع عالم المعلومات.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

ثانياً: ماذا يعني بناء المعرفة في عصر الذكاء الاصطناعي؟

إن المعرفة ليست هي المعلومات، وهذه التفرقة تمثل نقطة الانطلاق لفهم الدور الجديد للمعلم في عصر الذكاء الاصطناعي؛ فالمعلومة قد تكون إجابة جاهزة أو حقيقة منفردة، أما المعرفة فتتجاوز امتلاك المعلومات إلى فهم العلاقات بينها، والقدرة على تفسيرها وتحليلها ونقدها والتحقق من مصادرها وتوظيفها في مواقف جديدة، ومن هذا المنطلق، فإن بناء المعرفة داخل الصف لم يعد عملية تقوم على تقديم المحتوى واسترجاعه، بل أصبح مساراً يبدأ بالمعلومة، ثم يثير السؤال، ويدفع إلى البحث والتحقق والمقارنة والتحليل والفهم، وصولاً إلى التطبيق والإنتاج، ولذلك ينبغي أن ينتقل الصف من ثقافة "أعطني الإجابة" إلى ثقافة "ساعدني على فهم كيف وصلت إلى الإجابة"؛ وهنا تحديداً تتجلى فاعلية المعلم، إذ لا تكمن قيمته في قدرته على تقديم المعلومات التي أصبح الوصول إليها متاحاً للجميع، وإنما في قدرته على توجيه المتعلم إلى كيفية التعامل معها وتحويلها إلى معرفة ذات معنى. فالذكاء الاصطناعي يستطيع أن يقترح إجابة، ويقدم تفسيراً، ويولد أفكاراً متعددة، لكنه لا ينبغي أن يكون نهاية العملية التعليمية، بل يمكن أن يكون نقطة انطلاق لها؛ فبدل أن يطلب المعلم من طلابه: "اكتبوا بحثاً عن الموضوع باستخدام الذكاء الاصطناعي"، يمكنه أن يطلب منهم استخدامه لتقديم تفسير أولي للموضوع، ثم فحص المعلومات الواردة فيه، والعودة إلى مصادر مستقلة للتحقق منها، ومقارنة النتائج، وتحديد ما هو دقيق وما يحتاج إلى تصحيح، ثم بناء تفسيرهم الخاص استناداً إلى الأدلة، عندها يتحول الذكاء الاصطناعي من آلة لإنتاج الإجابة إلى أداة لإثارة التفكير، ومن بديل عن جهد المتعلم إلى شريك في بناء المعرفة، ويصبح دور المعلم هو إدارة هذه العملية وتوجيهها بحيث لا يكتفي الطالب باستهلاك المعرفة الجاهزة، بل يتعلم كيف يسأل عنها، ويفحصها، ويفهمها، ويعيد إنتاجها بصورة أكثر عمقاً ووعياً.

ثالثاً: فاعلية المعلم لا تقاس بكمية ما يشرح

في النموذج التقليدي، كان يُنظر إلى المعلم المتميز بوصفه الأكثر قدرة على الشرح وتقديم المعلومات ونقل أكبر قدر ممكن من المحتوى إلى المتعلمين، وكأن نجاح الحصة يقاس بما أنجزه المعلم من شرح وما استطاع الطالب من استيعابه أو حفظه. أما في الرؤية الحديثة للتعلم، فقد تغير معيار الفاعلية؛ فلم تعد قيمة المعلم تقاس بكمية ما يشرح، وإنما بقدرته على إحداث التعلم وإحداث تحول حقيقي في تفكير المتعلم، فهناك فرق جوهري بين أن يقول المعلم: "لقد شرحت الدرس"، وبين أن يسأل نفسه: "**ماذا حدث في تفكير الطالب بعد الدرس؟**"؛ لأن الشرح نشاط يقوم به المعلم، بينما التعلم تغير يحدث لدى المتعلم، ولا يمكن افتراض حدوثه لمجرد اكتمال الشرح، ومن هنا ينبغي أن ينتقل اهتمام المعلم من حجم المحتوى الذي يقدمه إلى نوع الأثر الذي يتركه في عقل المتعلم، فيصبح السؤال الذي يوجه ممارسته الصفية: "**ما الذي سأفعله اليوم لكي أجعل الطالب يفكر بطريقة لم يكن يفكر بها قبل دخوله الصف؟**"، **وما الذي سأقدمه له من موقف أو سؤال أو مشكلة أو تجربة تجعله أكثر قدرة على الفهم والتحليل والربط والاستنتاج؟** إن هذا السؤال أصبح أكثر أهمية من سؤال: **كم صفحة سأشرح؟ وكم معلومة سأقدم؟**؛ لأن المعلم الفاعل ليس من يملأ وقت الحصة بالكلام،

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

وإنما من يجعل الحصة مساحة يتحرك فيها عقل الطالب، ويخرج منها وقد أضاف إلى معرفته فهماً جديداً، أو طور طريقة تفكير، أو اكتسب قدرة على السؤال والتحليل والتطبيق. وفي عصر الذكاء الاصطناعي، تزداد أهمية هذا التحول؛ لأن قيمة المعلم لم تعد في تقديم ما تستطيع التقنية الوصول إليه خلال ثوانٍ، وإنما في قدرته على تحويل المعلومات المتاحة إلى تعلم حقيقي، وفهم عميق، وتفكير مستقل، وقدرة على إنتاج المعرفة.

رابعاً: كيف يكون المعلم فاعلاً داخل الصف؟

1. الانتقال من نقل المعرفة إلى إحداث التعلم: لم تعد فاعلية المعلم تقاس بكمية المعلومات التي يقدمها أو بعدد الصفحات التي يشرحها، وإنما بقدرته على إحداث تعلم حقيقي لدى المتعلم.

2. الفرق بين الشرح والتعلم: قد يقول المعلم: "لقد شرحت الدرس"، لكن السؤال الأهم هو: **"ماذا حدث في تفكير الطالب بعد الدرس؟"**؛ فالشرح نشاط يقوم به المعلم، أما التعلم فهو تغير يحدث لدى المتعلم.

3. التركيز على أثر التعلم: ينبغي أن ينتقل اهتمام المعلم من مقدار المحتوى الذي يقدمه إلى الأثر الذي يتركه في تفكير المتعلم، وما إذا كان الطالب قد أصبح أكثر قدرة على الفهم والتحليل والاستنتاج والتطبيق.

4. جعل التفكير هدفاً أساسياً: السؤال الذي ينبغي أن يوجه عمل المعلم هو: **"ما الذي سأفعله اليوم لكي أجعل الطالب يفكر بطريقة لم يكن يفكر بها قبل دخوله الصف؟"**

5. تقليل مركزية الشرح: لم يعد طول الشرح أو كثرة المعلومات دليلاً على نجاح الحصة؛ فالمعلم الفاعل هو الذي يجعل الطالب مشاركاً في التعلم، لا مستمعاً سلبياً للمعلومات.

6. تحويل الصف إلى بيئة للتفكير: ينبغي أن تصبح الحصة مساحة للسؤال والحوار والاستكشاف والتحليل وحل المشكلات، بحيث يكون الطالب طرفاً فاعلاً في بناء المعرفة.

7. إعادة تعريف نجاح المعلم: نجاح المعلم لا يتحقق عندما ينتهي من شرح المادة، بل عندما يستطيع المتعلم أن يوظف ما تعلمه في موقف جديد، وأن ينتقل من استيعاب المعرفة إلى استخدامها وإنتاج معرفة جديدة.

8. تعاظم دور المعلم في عصر الذكاء الاصطناعي: كلما أصبحت المعلومات متاحة بصورة أسرع وأسهل، تراجعت أهمية المعلم بوصفه ناقلاً للمعلومة، وازدادت أهميته بوصفه موجهاً للتفكير، ومدققاً للمعرفة، ومصمماً للتعلم، ومحفزاً على الإبداع والإنتاج.

خامساً: من استخدام الذكاء الاصطناعي إلى التفكير معه

إن الفرق كبير بين أن يستخدم الطالب الذكاء الاصطناعي لإنجاز المهمة نيابةً عنه، وبين أن يستخدمه أداةً لتطوير تفكيره وتوسيع قدرته على البحث والتحليل؛ ففي الحالة الأولى قد يطلب الطالب ببساطة«: اكتب لي بحثاً عن الموضوع"، فيحصل على إجابة جاهزة قد يستوعبها أو لا يستوعبها، بينما في الحالة الثانية يمكن أن يطلب منه: "اقترح لي ثلاث فرضيات حول المشكلة، وسأختبرها من خلال المصادر التي أبحث عنها"، وهنا يصبح الذكاء الاصطناعي أداة مساعدة في توليد الأفكار وإثارة الأسئلة، لا بديلاً عن جهد المتعلم. فالأولى تمثل استعانة بالآلة بدلاً من التفكير، في حين تمثل الثانية استعانة بالآلة من أجل تطوير التفكير، وهذا الفارق ينبغي

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

أن يكون في صميم الممارسة الصفية الحديثة؛ لأن الهدف ليس أن يصبح الطالب أكثر قدرة على الحصول على الإجابة، وإنما أن يصبح أكثر قدرة على فهمها وتحليلها والتحقق منها وتوظيفها. وتشير منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي (OECD) إلى أن استخدام الذكاء الاصطناعي دون توجيه تربوي مناسب قد يحسن أداء الطالب في إنجاز المهمة دون أن يؤدي بالضرورة إلى مكاسب حقيقية في التعلم، مما يجعل القيمة التعليمية للذكاء الاصطناعي مرتبطة بدرجة كبيرة بكيفية تصميم استخدامه وتوجيهه تربوياً.

ثامناً: إعادة تعريف التقويم

إذا تغير مفهوم التعلم، فلا بد أن يتغير التقويم؛ إذ لا يمكن أن نطلب من الطالب أن يتعلم التفكير والتحليل والنقد والإنتاج، ثم نقيس تعلمه من خلال أسئلة تعتمد بصورة أساسية على الحفظ والاسترجاع؛ ففي عصر الذكاء الاصطناعي، ينبغي أن تتجه المهام التقويمية نحو قياس قدرة المتعلم على تحليل مشكلة حقيقية، ونقد إجابة مولدة بالذكاء الاصطناعي، ومقارنة مصادر متعددة، وتفسير أسباب اختلاف الإجابات، وإنتاج مشروع، والدفاع عن موقف بالأدلة، وحل مشكلة جديدة، وتوثيق خطوات تفكيره، والتأمل في الكيفية التي توصل بها إلى النتيجة. وبهذا ينتقل التقويم من كونه أداة للحكم على قدرة الطالب على استرجاع المعلومات إلى أداة للكشف عن قدرته على الفهم والتفكير والتحليل والتطبيق والإنتاج، بحيث يصبح السؤال التقويمي لا يبحث فقط عما يعرفه الطالب، وإنما يكشف كيف يفكر، وكيف يتحقق، وكيف يوظف ما يعرفه في بناء معرفة أو حل مشكلة جديدة. وبذلك يصبح التقويم جزءاً من عملية التعلم نفسها، لا مرحلة نهائية منفصلة عنها، ويصبح أكثر قدرة على قياس ما يمتلكه المتعلم من قدرات عقلية حقيقية، لا مجرد ما يستطيع استحضاره من ذاكرته أو الحصول عليه من أدوات الذكاء الاصطناعي.

تاسعاً: كفايات المعلم الفاعل في عصر الذكاء الاصطناعي

لم يعد المطلوب من المعلم في عصر الذكاء الاصطناعي أن يكون خبيراً تقنياً فحسب، بل أن يمتلك مزيجًا متكاملًا من الكفايات الإنسانية والمعرفية والتربوية والتقنية التي تمكنه من توظيف هذه التقنيات في خدمة التعلم الحقيقي، وتضع اليونسكو إطاراً لكفايات المعلمين في مجال الذكاء الاصطناعي يقوم على خمسة أبعاد رئيسة، هي: العقلية المتمحورة حول الإنسان، وأخلاقيات الذكاء الاصطناعي، وأسس الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته، والبيداغوجيا المرتبطة بالذكاء الاصطناعي، والذكاء الاصطناعي من أجل التعلم المهني، ومن هنا يبرز مفهوم جوهري، وهو أن المعلم الفاعل ليس من يعرف كيف يستخدم الذكاء الاصطناعي فقط، وإنما من يعرف متى يستخدمه، ولماذا يستخدمه، ومتى يكون عدم استخدامه هو الخيار التربوي الأفضل، وكيف يوظفه بطريقة تجعل التقنية وسيلة لبناء التعلم لا بديلاً عن التفكير.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

الاستنتاجات

1. لم يعد المعلم ناقلاً للمعرفة، بل أصبح موجهاً لبنائها.
2. تزداد قيمة المعلم كلما تراجعت قيمة المعلومة الجاهزة، لأن دوره ينتقل إلى توجيه التفكير والتحقق والفهم.
3. الذكاء الاصطناعي لا يلغي دور المعلم، بل يعيد تعريفه من خلال تعزيز قدرته على تصميم التعلم وتقديم التغذية الراجعة.
4. بناء المعرفة يتطلب الانتقال من تلقي الإجابات إلى مساءلتها وتحليلها والتحقق منها.
5. الاستخدام التربوي الفاعل للذكاء الاصطناعي هو الذي يحفز التفكير، لا الذي ينوب عن المتعلم في التفكير.
6. ينبغي أن تركز المناهج والتقويمات على الفهم والتحليل والإبداع وحل المشكلات، لا على الحفظ والاسترجاع وحدهما.
7. المعلم الفاعل هو من يصنع بيئة صفية للتفكير والحوار والاستكشاف، وليس مجرد بيئة لتلقي المعلومات.
8. المستقبل التعليمي ليس صراعاً بين المعلم والآلة، بل شراكة تجعل الذكاء الاصطناعي في خدمة الإنسان والتعلم.
9. الغاية النهائية للتعليم في عصر الذكاء الاصطناعي هي بناء متعلم قادر على التعلم المستمر وإنتاج المعرفة، لا استهلاكها فقط.

خاتمة

من معلم المعرفة إلى معلم بناء المعرفة

إن التحول الحقيقي الذي أحدثه الذكاء الاصطناعي في التعليم لا يكمن في ظهور أداة تقنية جديدة فحسب، وإنما في أنه أعاد طرح سؤال جوهري حول وظيفة التعليم ومهمة المعلم: **ما الذي ينبغي أن يتعلمه الإنسان عندما تصبح الآلة قادرة على إنتاج هذا الكم الهائل من المعرفة والمعلومات؟** والإجابة لا تكمن في الاستغناء عن المعرفة، وإنما في إعادة تعريف وظيفتها؛ فالطالب يحتاج إلى المعرفة اليوم أكثر من أي وقت مضى، لكنه يحتاج معها إلى القدرة على فهمها ونقدها والتحقق منها وربطها بسياقاتها وتوظيفها وإنتاج معرفة جديدة انطلاقاً منها. ومن هنا تتحدد فاعلية المعلم في عصر الذكاء الاصطناعي؛ فهو ليس مخزناً للمعلومات، ولا مجرد مستخدم للتكنولوجيا، ولا منافساً للآلة، وإنما هو مصمم للتعلم، وموجه للتفكير، ومدقق للمعرفة، وبانٍ للمعنى، وصانع لبيئة صفية تجعل المتعلم قادراً على التعلم الذاتي المستمر. ولذلك فإن التحدي الحقيقي أمام التعليم اليوم ليس مجرد إدخال الذكاء الاصطناعي إلى الصف، وإنما ضمان ألا يتحول الصف إلى مساحة تنتج فيها الآلة الإجابات ويكتفي الطالب باستهلاكها؛ فالغاية ليست أن نعلّم الطالب كيف يحصل على الإجابة من الذكاء الاصطناعي، بل أن نعلّمه كيف يسأل، وكيف يفكر في الإجابة، وكيف يتحقق منها، وكيف يناقشها، وكيف يبني عليها، وكيف يحولها إلى معرفة جديدة. وعندما يصل التعليم إلى هذه المرحلة، يصبح الذكاء

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

الاصطناعي أداة في يد المتعلم لا عقلاً بديلاً عنه، ويصبح المعلم قائداً لعملية بناء المعرفة لا مجرد ناقل لها؛ وعندها لا تكون قيمة المعلم فيما يعرفه فقط، بل فيما يستطيع أن يجعل طلابه قادرين على معرفته، وفهمه، ونقده، وإنتاجه، وتحويله إلى أثر حقيقي في حياتهم ومجتمعهم.

المصادر

1. Bruner, J. S. (1996). The Culture of Education. Cambridge, MA: Harvard University Press.
2. Miao, F., & Holmes, W. (2023). Guidance for Generative AI in Education and Research. Paris: UNESCO.
3. OECD. (2023). Digital Education Outlook 2023: Towards an Effective Digital Education Ecosystem. Paris: OECD Publishing.
4. OECD. (2025). OECD Teaching Compass: Reimagining Teachers as Agents of Curriculum Change. Paris: OECD Publishing.
5. OECD. (2025). What Should Teachers Teach and Students Learn in a Future of Powerful AI? OECD Education Spotlights, No. 20. Paris: OECD Publishing.
6. OECD. (2026). OECD Digital Education Outlook 2026: Exploring Effective Uses of Generative AI in Education. Paris: OECD Publishing.
7. UNESCO. (2021). AI and Education: Guidance for Policy-makers. Paris: UNESCO.
8. UNESCO. (2024). AI Competency Framework for Students. Paris: UNESCO.
9. UNESCO. (2024). AI Competency Framework for Teachers. Paris: UNESCO.
10. Vygotsky, L. S. (1978). Mind in Society: The Development of Higher Psychological Processes. Cambridge, MA: Harvard University Press.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

تأسس مركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية في بغداد بموجب شهادة التسجيل الصادرة عن الأمانة العامة لمجلس الوزراء -دائرة المنظمات غير الحكومية المرقمة (1J775330) بتاريخ ٢٠١٢/٤/٢٦، وهو مركز علمي بحثي يهتم بإجراء الاستطلاعات والدراسات الميدانية فضلا عن إعداد الأوراق البحثية والمقالات حول قضايا الحياة المجتمعية للأسرة والمواطن، والدولة بمؤسساتها المختلفة.

- لا يجوز نشر أي من إصدارات المركز ونتاجاته العلمية الا بموافقة خطية صريحة ويمكن الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا.
- حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية

للتواصل

00964- 7710122232

Alfaidcenter2011@gmail.com

www.al-faidh.com

العراق - بغداد - الكرادة